ولحدث وخلوه عن بيان منفعة وهي كونه مطهرا للانسان من الحدث والا النجاسة
او لاسم كالذنوب وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ماء ذنوب ولا يقال
لها وهي فارغة ذنوب فان قيل طهور مشتق من طهر طاهر وهو لازم فكيف يجوز تعديته
بتطهير غيره قلنا انه لا يكون من الصفات المشبهة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل
الاسماء الجامدة فان قيل كيف يكون لفظه طهورا اسما لما يتطهر به وقد قال تعالى في صفة شراب
اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر عذاب الثنايا ريقهن طهور قلنا كونه
اسما له لا ينافي استعماله في مبالغة طاهر قوله ولتوصيفا الماء اشعارا بالنعمة جواب عما يقال ما
الفائدة في توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقي الحيوان بقوله طهورا على ان التوصيف
في مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعط الفقير اللباس الفاخر
لا تزين به ووصف الطهارة لا دخل له في ترتب الاحياء والسقي على انزال الماء وتقرير الجواب ان
الاحياء والاسقاء المذكور وان امكن بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها
اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة المستفادة
من قوله لنحيي به ونسقيه فان هذين الاحسانين انما يتمان بذلك لما ذكر من ان الماء الطهور اهنى
وانفع ونبهها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن علينا بان انزل ماء
يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات وبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغي ان يطهر ومن المعلوم
ان باطن الشيء اولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره فكان الانسان بازالة ما يطهر الظاهر
تنبيها على ان الباطن اولى قوله ولانه غير جار على الفعل اي لم يقل حيا ميتة لان الميت ليس على
وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل بمعنى مفعول وفي مثلها يجوز التذكير وان جرى على المؤنث
لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له حتى ان لا يطابق موصوفه في التانيث فان الفعل
يطابق ما عليه في التذكير والتانيث وكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فانه
اجرى مجرى الجوامد قراءة الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم في رواية عنهما
بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال
سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه والاسم السقي بالكسر قوله مما خلقنا كرر
ان يتعلق بقوله نسقيه اي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسي وان ينتصب
على الحال من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا ونحو ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما
ولعل قوله يعني اهل البوادي مبني على الاول فان حمل قوله مما خلقنا على اهل البوادي وحمل
والاناسي مبنيا عليه انما بالاسم الاول قوله وتخصيصهم جواب عما يقال لم خص اهل البوادي

يطهر

البوادي بالاستقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب قوله وسائر الحيوانات
اي ما عدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت متعلقة بالماء لكنه تعالى خص الانعام
بالذكر لان سائرها لا يعوزها الشرب ولا يكون عاجزة عن نيلها غالبا بخلاف عوزه الشيء
اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه قوله مع ان مساق هذه الايات وجه ثان لتخصيص الانعام
بالذكر مع استوائها لسائر الحيوانات في الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود مجرد
بيان الحكمة في انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في حق نوع الانسان فلذلك
خصت الانعام بالذكر لانها قنية الانسان اي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة في الصحاح
قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة
وعليه جمع على بمعنى سهف ورفع مثل صبية وصبي قوله ولذلك اي ولكون عامة ما يتعيش
به هي الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم في الانعام احياء الارض وحيوتها سبب لحيوة
الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان وما هو رزقه ورزق
رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات
فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حيوة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام قوله واناسي عطف
على قوله ونسقيه اي كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ اناسي بحذف ياء اناسي ذهب سيبويه
الى ان اناسي جمع انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء فادغمت فيها
الياء التي قبلها كما قيل في جمع ظربان ظرابي اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة
منتنة الريح تزعم العرب انها تفسو في ثوب احدهم اذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفي
المثل فسا بيننا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال الفراء والمبرد والزجاج انه جمع انسي
وفيه نظر لان فعالي انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسي في جمع
كرسي فلو اريد بكرسي النسب لم يجز جمعه على كراسي ويبعد ان يقال ان الياء في انسي ليست
للنسب وكان حقه ان يجمع اناسية نحو مهالبة في جمع المهلبي واذارقة في الازرقي قوله صرفناه
الفعل يعني ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ما ذكر بقوله هو الذي ارسل الرياح بشرا وانزلنا من السماء
ماء طهورا كانه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس في القران وفي سائر الكتب
ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذي هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لا ينزله
على نسق واحد بل ينزله في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى
فيقسم بين العباد على هذه الوجوه روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما عام باكثر مطرا من عام
ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه الاية وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عام بامطر

Copyright © King Saud University